الطالباني في عمان أولا .. لماذا؟

11-5-2005

ما يعنينا بعيدا عن كل ما سبق هو خصوصية الدور الأردني في المنطقة عموما وفي العراق على وجه التحديد، الأمر الذي يدفع قادة العراق الجديد وعلى رأسهم طالباني إلى وضع العاصمة الأردنية عمان على رأس قائمة محطات جولته الخارجية. والدور الأردني هو مطلب أمريكي لخصوصية موقع الأردن جغرافيا وسياسيا.. فالعاصمة الأردنية عمان تمثل ساحة حراك سياسي دائم، وهي الأقرب لكل مناطق التوتر والصراع والحدث في الشرق الأوسط، بدءا من بغداد والأراضي الفلسطينية مرورا بالقاهرة وصولا إلى دمشق وبيروت ..

بقلم طارق ديلواني

كغيره من قادة العراق الجديد ..حظي جلال طالباني الرئيس العراقي الجديد باستقبال رسمي كبير وبحفاوة بالغة لدى زيارته الأولى التي استهل بها جولته من العاصمة الأردنية عمان..الأقرب والأكثر تأثيرا في الفترة الأخيرة في عملية صنع القرار العراقي.

لماذا اختار طالباني عمان أولا؟؟ ..سؤال قد تكمن الإجابة عليه في تحليلات سابقة تناولت سر قرب قادة العراق الجديد مثل علاوي والياور ومن بعدهم الجعفري وطالباني من العاصمة الأردنية أكثر من غيرها من العواصم العربية الأخرى.

ثمة خصوصية في العلاقات الأردنية العراقية شعبيا ورسميا يتداخل فيها التاريخ مع الجغرافية مع السياسة، فالعراق كانت ولا زالت عصب الاقتصاد الأردني، وهي إرث سياسي ملكي من أيام الملك فيصل والهاشميين.

الأردن صاحبة مواقف تاريخية بالنسبة للعراقيين أيام النظام السابق بدءا من حرب إيران مرورا بحرب الخليج وانتهاء بحرب الخليج الثانية، إضافة إلى التداخل القبلي الجغرافي بين البلدين من قبيل تناثر العشائر العراقية بين العراق والأردن على طول الحدود، كقبيلة شمر التي ينتمي لها الرئيس العراقي المؤقت السابق غازي الياور، وتمتد جذورها في الأردن أيضا ..

ومنذ حلف بغداد ونوري السعيد وظلال الحكم الهاشمي في العاصمتين، مروراً بانقلاب 14 تموز 1958، وصولاً إلى استقرار الأمر للبعثيين طوال الحقبة الماضية، حافظت صيغة "عمان- بغداد" على واحدة من أوسع وأكثف التفاعلات السياسية.

ثمة مقولة يرددها الاقتصاديون في الأردن تقول بأن الحصار الذي فرض على العراق بانت آثاره، في الأردن في إشارة إلى حجم الارتباط الحساس والمهم في العلاقة بين البلدين..

ما يعنينا بعيدا عن كل ما سبق هو خصوصية الدور الأردني في المنطقة عموما وفي العراق على وجه التحديد، الأمر الذي يدفع قادة العراق الجديد وعلى رأسهم طالباني إلى وضع العاصمة الأردنية عمان على رأس قائمة محطات جولته الخارجية.

والدور الأردني هو مطلب أمريكي لخصوصية موقع الأردن جغرافيا وسياسيا.. فالعاصمة الأردنية عمان تمثل ساحة حراك سياسي دائم، وهي الأقرب لكل مناطق التوتر والصراع والحدث في الشرق الأوسط، بدءا من بغداد والأراضي الفلسطينية مرورا بالقاهرة وصولا إلى دمشق وبيروت ..

ولفهم طبيعة الدور الأردني في العراق وفي المنطقة عموما، لا بد من الإشارة إلى طبيعة العلاقة الأردنية الأمريكية، وهي علاقة تحالف إستراتيجي تكاد توازي في بعض الأحيان والأوقات علاقة أمريكا بإسرائيل.

الأردن تحولت مع بداية عهد الملك عبد الله الثاني إلى لاعب أساسي في المنطقة وصاحبة أدوار إقليمية غاية في الأهمية.. دور في العراق .. دور في الأراضي الفلسطينية وغزة ..ودور اقتصادي ..ودور سياسي عربي ..ودور غاية في الخطورة يتعلق بتحمل عمان على عاتقها مهمة تسهيل تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية.

الحكومة العراقية المؤقتة الأولى بقطبيها علاوي والياور كانت صناعة أردنية خالصة، أوصى بها الملك عبد الله بوش لاعتبارات عديدة من بينها صداقات الرجلين الحميمة للأردن ومسئوليه ..أما الحكومة الجديدة فهي أقل شأنا بالنسبة للأردنيين.

وما يرشح الأردن دون غيرها من الدول العربية لهذا القرب من أمريكا وللعب هذا الدور الإقليمي، هو خلوها من الصراعات السياسية والعرقية ووجود نظام سياسي أقرب للنموذج الأمريكي للديمقراطية ..وحميمية العلاقة مع إسرائيل.. إذن ثمة مقومات تمتاز بها الأردن جعل منها "عراب" أمريكا في المنطقة في وقت كان من المفترض أن يقوم بهذا الدور عواصم عربية أخرى كالقاهرة أو الرياض ..

وبالعودة إلى الموضوع العراقي نقول إن تصريحات طالباني في عمان كانت بمثابة إعلان عن شكل العلاقات الأردنية العراقية المقبلة في إشارة إلى علاقة إستراتيجية تمثل حلفا ثلاثيا مستقبليا: أردني أمريكي عراقي.

وشكل العلاقة الأردنية العراقية المقبلة قائم بالأساس على قيام الأردن بدوره كما يجب فيما يتعلق بالشق الأمني ومحاربة "الإرهاب" الذي يعتبره العراق العائق الأول أمام تحقيق أمنه واستقراره.

العراقيون أيضا يراهنون على دور الأردن في صفوف سنة العراق..فثمة من يقول من المسئولين العراقيين إن للأردن نفوذا كبيرا بين عشائر السنة العرب فيما يتعلق بالشق الأمني ومنع تسلل المقاتلين ومحاصرة جماعة الزرقاوي داخليا وخارجيا، وتقنين وضبط حركة بعض الجهات والمراجع السنية كهيئة علماء المسلمين، بل وحتى الضغط على سوريا لمنع تسلل المقاتلين من أراضيها.

أما حجم الاستقبال الذي يحظي به طالباني الكردي ووزير خارجيته الكردي أيضا ، فله دلالة على حجم العلاقات المستقبلية كما قلنا .. على الرغم من وجود اعتراضات أردنية داخلية واعتراضات عراقة داخلية أيضا على زيارة الرجل للأردن، خاصة بعد التوتر بين البلدين بسبب تفجير الحلة وتراجع العلاقة بينهما قبل أن يعمل العاهل الأردني على تخفيف وطأتها، بينما يجري الحديث عن عودة قريبة للسفير الأردني إلى بغداد.

الائتلاف الشيعي في الحكومة العراقية إلى جانب قيادات في حزب طالباني نفسه اعترضوا على زيارته للأردن، مثلما اعترضت قوى سياسية أردنية وحزبية على الزيارة أيضا لاعتبارات عديدة، من بينها أن الرجل لا يحظى بقبول أردني شعبي ولا حتى رسمي في الأردن.

لكن طالباني الذي توجه للأردن في أول زيارة له بعد تنصيبه رئيسا للعراق الجديد حمل ملفات عدة في طريقه إلى العاصمة الأردنية من بينها المطالبة بدور أردني أكبر في العراق، ليس على سبيل التدخل وإنما المعاونة في بناء عراق حر ديمقراطي آمن قادر على إدارة شؤونه بنفسه عن طريق تدريب المزيد من قوات الأمن والجيش العراقي، وإنهاء ملف أحمد الجلبي المتهم باختلاس ونهب بنك أردني كان يرأسه قبل نحو 1 سنوات.

إضافة إلى ملف العلاقات الاقتصادية بين الأردن والعراق والمنحة النفطية العراقية للأردن وبحث سبل إعادتها بعد توقفها إثر إسقاط النظام العراقي السابق، فضلا عن إنهاء ملف العلاقات المالية العالقة بين البلدين من بينها الأرصدة المجمدة والديون الأردنية على العراق.

في جعبة طالباني الكثير من الأمور التي دفعته لاستهلال جولته وزياراته بالعاصمة الأردنية، والأمر لا يخلو بالطبع من توجيه أمريكي أو إملاء بمعنى آخر لما يجب على الرجل القيام به..على أن الزيارة المرتقبة الأكثر أهمية بالنسبة للأردن هي زيارة رئيس الوزراء العراقي إبراهيم الجعفري لاعتبارات سياسية وطائفية..فالرجل يمثل وزنا أكثر ثقلا فيما يتعلق بالقرار العراقي مقارنة بالطالباني الرئيس ..فضلا عن انتماء الجعفري للمذهب الشيعي .. ولسنا هنا بحاجة للتذكير بالتوتر الناشئ بين شيعة العراق وشيعة إيران من جهة والأردن من جهة أخرى إثر تراكمات سياسية بدأت بتصريحات العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني حول خطورة الهلال الشيعي في المنطقة ولم تنته بحادث تفجير الحلة.